الألغـــاز عند العرب ...

للأديب عبد الله نيازى

قال صاحبي ، أنا محجباك فى هذا اليوم ، قلت : فى أى شىء؟ قال: فى لغز لا أظنك تستطيع حله . قلت : هات عسى أن أدرك كنهه ، قال : دخل أحد الأفراد إلى محل تجارى كبير آملا أن يجد له فيه مكاناً يكسب منه رزق يومه ، ولما دخل إلى مدير المحل أفضى بما جاء من أجله وأبدى رغبة ملحة فى توظيفه ، فأشار المدير إلى سكرتيره إشارة خاصة ذهب بعدها السكرتير وأتى بقدح مملوء بالماء موضوع فى وسط صينية وقدمه إلى الزائر ، وفكر الزائر هنيهة ثم رفع قشة ووضعها على سطح الماء الذى فى القدح . فعجب المدير لفطنته وذكائه وأوجد له مكاناً ... قال صاحبي ما سر هذا اللغز ، وإلى أى شىء رمز قدح الماء الذى قدم إليه ؟ ثم ما معنى تلك القشة التى وضعها الزائر وكانت سبباً فى توظيفه ؟ . ثم سكت صاحبي وارتسمت على وجهه سمات الارتياح والنصر معاً ، ففكرت برهة ثم قلت ، إنما القدح المملوء بالماء يعنى عدم وجود مكان لكثرة الموظفين الموجودين ولا يوجد أى مكان لطالب جديد . أما القشة التى وضعها الزائر فإنه أفهم المدير بلطف إلى أن القشة لم تزد على الماء شيئاً وكذلك لم تنقصه ، وأنه إذا أضيف إلى عدد الموظفين الموجودين لا يؤثر فيهم شيئاً . فدهش صاحبي وقال : لا بد أنك سمعته من قبل ففقيت زعمه وأبى أن يصدق .

والمطلع على أدبيات العرب يجد الكثير من أمثال هذا اللغز . وتعرف بالألغاز والأحاجى وكانت العرب تزيد فى إبهامها وغموضها لتفحم سائلها فى فهمها وتفاخر بالتفوق عليه ، وكانت هذه الألغاز وسيلة للتندر وترجية للوقت معاً ، والذى يشبه اللغز الذى رواه صاحبي بل ويفوقه من حيث الوضع والمعنى ما حكاه المدائنى من أن رجلا مر بحى الأحوص ، فلما دنا من القوم حيث يرونه نزل عن راحلته فأتى شجرة فعلق عليها وطبا من لبن ووضع فى بعض أغصانها حنظلة ، ووضع صرة من تراب وصرة من شوك ، ثم أتى راحلته فاستوى عليها وذهب . فنظر الأحوص والقوم فى أمره فلم يدركوا مر ما فعل ، فقال أرسلوا فى قيس بن زهير وكان فارساً شاعراً داهيا يضرب به المثل ، فجاء . فقال له الاحوص : ألم تخبرنى أنه لا يرد عليك أمر ألا عرفت مأتاه ؟ قال : فما الخبر ؟ فاعلموه ، فقال : وضح الصبح لذى عينين ، ثم قال : هذا رجل أمره جيش قاصد لكم ، ثم أطلق بعد أن أخذت عليه العهود والمواثيق أن لا ينذركم ، فعرّض لكم بما فعل : أما الصرة من التراب فأنه يزعم قد أتاكم عدد كثير ، وأما الحنظلة فأنه يخبر أن بنى حنظلة غزتكم ، وأما الشوك فأنه يخبر أن لهم شوكة ، وأما اللبن فهو دليل على قرب القوم أو بعدهم إن كان حلواً أو حامضاً . فاستعد الأحوص وورد الجيش كما ذكر قيس .

وتفننت العرب فى وضع الألغاز تفنناً مدهشاً وذهبت بها مذهباً بعيداً وأخلتها الشعر وأحكمت وضعها وتركيبها . ونسوق مثالا على ذلك مقدام الخزاعى .

وعجوز أتت تبيع دجاجـــاً لم يفرخن قـد رأيت عضالا
ثم عاد الدجاج من عجب الدهر فراريج صبية أطفـــالا

وقال : يعنى دجاجة الغزل ، وهو ما يخرج عن المغزل ، ويعنى بالفراريج الأقبية ... ومن الأحاجى هـذه ما كان يأتى بأول كلمة من معنى يضمره الحاجى وعلى المجيب أن يأتى به . ومنها ماروووه عن هند بنت الخس وهى قديمة فى الجاهلية قالوا وكانت ساجمة مبتذلة تحاجى الرجال إلى أن مر بها رجل فسألته المحاجاة ، فقال كاد ... فقالت : كاد العروس يكون الأمير ، فقال : كاد ... فقالت : كاد المقتل يكون راكباً ، فقال : كاد .. قالت : كاد البخيل يكون كلبا وانصرف . فقالت له ، أحاجيك ؟ فقال قولى ، قالت عجبت ... قال : عجبت للسبخة لا يجف ثراها ولا ينبت مرعاها . فقالت عجبت .. قال ، عجبت للحجارة لا يكبر صغيرها ولا يهرم كبيرها ... ثم ألحمها بكلمة بذيئة فخجلت وتركت المحاجاة .

ومن أطرف ما ذكر فى هذا الشأن دخول أبى القاسم الفطانى على الوزير الزينى يهنئه بالوزارة فوقف بين يديه ودعا له وأظهر الفرح ورقص ، فلما خرج قال الوزير لبعض أهل سره : قبح الله هذا الشيخ ! أنه يشير برقصه إلى قولهم : ارقص للقرد فى دولته .

وبعض الألغاز كانت تجىء عفوا من طريق المصادفة وما كانت تقصدها العرب وهى نوعان : منها ما يقع الإلغاز فيه من حيث المعانى وكانت لا تفهم من أول وهلة ، ومنها ما يقع فيه الإلغاز من حيث اللفظ والتركيب ، ... هذا وللعرب ألغاز وأحاج كثيرة لا يتسع المقام لبسطها هنا فاكتفينا بهذا القدار ليكون على علم من أن للعرب ألغاز وأحاجى تفوق ما يتناقله الناس الآن

بغداد عبد القدر نيازى